صراحة
من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

العدد (2218) السنة الثامنة
الخميس (11) اب 2011

خليل العطية

حارس التراث العربي

8

امشاج استاذي
خليل العطية

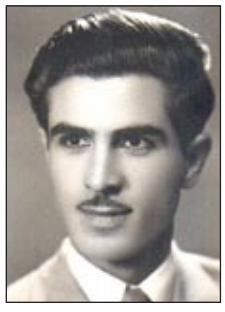

بالمناسبة

بالمناسبة.. ميلاد محقق

في احدى المؤتمرات العلمية

د. علي جواد الطاهر

ناقد راحل

كان العرب في الجاهلية يفرحون ويحتفلون عندما يولد بينهم شاعر، ويفعل العالم اليوم شيئا قريباً من ذلك عند ميلاد شاعر او قصاص.

ترى لم لا نفرح عندما يولد بيننا محقق، ولم كان في حضارة عرب الجاهلية بحث ونشر لفرحوا واحتفلوا.. اما اليوم فان التحقيق عنصر اساسي وضرورة علمية وحضارية.

لقد ظل التراث مشتتا ، بعيدا عن متناول اليد، عرضة للهلاك.. فجاء المحقق فحفظه وقدمه جديدا كاملا.. او، هكذا كان يجب ان يفعل، فلقد نشرت عشرات بل مئات الآثار على غير الصورة التي كان الواجب ان تكون عليها..

ثم اصبح التحقيق علما، لايتصدى له كل من نازعته الرغبة، لانه يقتضي شروطا معينة لايسهل توفرها، وكفايات لازمة لا تتحقق الغاية من دونها.

وقد رزق محققنا الوليد السيد خليل ابراهيم العطية المهم من هذه الشروط والكفايات – ان لم يكن قد وهبها كلها.عرفته طالبا في الكلية، فعرفت فيه العلم باللغة العربية والبحث وراء اسرارها المستنصرية من لم يكن مزودا بحاسة خاصة وبصر خاص.

ويعمل على التحقيق، ويصدر الديوانن وتتصفحه فتصدق الظنون وتتضح كل الشروط اللازمة للمحقق: العلم، الذوق، الحس، التتبع، الصبر، التواضع والعمل بهدوء ومن غير طمع بمال في تأمل النص ومقابلته، والرجوع الى كل المظاف التي يمكن ان تحل مشكلا وان تضيف جديداً، بشكل منهجي وخطة واضحة.

العمل مرضن، ومرض جدا – اذا علمنا انه الأنتاج الاولّ وان النسخة فريدة وانها مليئة بالعثرات.

وليس المطلوب من الانتاج الاول اكثر من هذه الدلالة، دلالة اخرى تبين بوضوح ان "الوليد" يمتلك كل عناصر الحياة الصحيحة، وان لديه من القوة والرصيد ما يستطيع بهما ان يقاوم الظروف وان يغلبها، ولك ان تعلم ان السيد خليل مدرس في الكوت. وقد بذل من الصبر واتى من الانتاج ما لم يستطعه ابن بغداد ، اليس في هذا ما يدل على ان "الوليد" اقوى من الظروف، وان الدأب جزء من شخصيته، ولنقلها من "موهبته".

اذن ما اجدرنا ان نفرح وان نعنى بالنبتة الجديدة وان نتعهدها بالرعاية لتستطيع مواصلة الاثمار.

وما احوجنا الى نشر تراثنا محققا يصبر وباسلوب علمي في كثير من نكران الذات بل الرغبة الملحة الى نكران الذات عن هذا الطريق.

اذ ادعو الى هذا، اعلم جيدا اننا لا ولن نعنى بالسيد خليل لاننا لم نبلغ من السهر على تراثنا الدرجة التي نشعر معها باهمية ميلاد محقق، ولاننا لم نبلغ من المتانة بحيث نقوم الامور بمقاييسها الطبيعية التي خلقت لها وانبثقت عنها.

ارجو الا يضيع الاستاذ خليل ابراهيم العطية كما ضاع كثيرون. ولكن ، لا لن يضيع الاستاذ خليل، لانه سيرعى نفسه وسيثبت كفايته بما مكلت يده وبما هو مستعد للتضحية به وكل ما في الامر اننا كنا نطمح ان نسهل له السبل وتختصر امامه الخطوات ليؤدي خدمة بيسر وغزارة.

تهانينا بالمحقق الوليد وكلنا امل، بل ثقة بتحقيق يتبعه تحقيق – والى وكلنه كان – لسوء الحظ اكثر من طالب. ومن كان كذلك في كلياتنا خسر كثيراً، وربما تمرد على الدرس لما تصيبه من خيبة، ولانه لايجد ما اشبع فهمه...

هذا الذي كان، حتى لقد خشيت عليه، ثم تخرج وانقطعت الاخبار. وفي يوم التقيته واذا به على علم بما صدر وما يصدر. وبما هو مطبوع، وما هو مخطوط، وانه ليفتح بابا في مجلة المكتبة بعنوان "من ذخائرنا المخطوطة" يدل قارئيه على نضج وتتبع، وان القاريء ليمنحه من السنين اكثر مماله في واقع عمره.

ولو لم يكن خليل ابراهيم العطية معدا لهذا اللون من النشاط الذهني لما فتح "الباب" ولما طرقه.

واعلم انه يحقق ديوانا، هو ديوان "المزود بن ضرار القطفاني" الشاعر المخضرم. ولولا حبه لامضاء اوقت في "المكتبات" وبين المخطوطات لما علم وجود نسخة الديوان، لان اسم المزود ليس مما يمر على كل اذن وامام كل عين ولايعلم او يتعلم الطريق المؤدي الى مكتابة المدرسة المستنصرية من لم يكن مزودا بحاسة خاصة وبصر خاص.

ويعمل على التحقيق، ويصدر الديوانن وتتصفحه فتصدق الظنون وتتضح كل الشروط اللازمة للمحقق: العلم، الذوق، الحس، التتبع، الصبر، التواضع والعمل بهدوء ومن غير طمع بمال في تأمل النص ومقابلته، والرجوع الى كل المظاف التي يمكن ان تحل مشكلا وان تضيف جديداً، بشكل منهجي وخطة واضحة.

العمل مرضن، ومرض جدا – اذا علمنا انه الأنتاج الاولّ وان النسخة فريدة وانها مليئة بالعثرات.

وليس المطلوب من الانتاج الاول اكثر من هذه الدلالة، دلالة اخرى تبين بوضوح ان "الوليد" يمتلك كل عناصر الحياة الصحيحة، وان لديه من القوة والرصيد ما يستطيع بهما ان يقاوم الظروف وان يغلبها، ولك ان تعلم ان السيد خليل مدرس في الكوت. وقد بذل من الصبر واتى من الانتاج ما لم يستطعه ابن بغداد ، اليس في هذا ما يدل على ان "الوليد" اقوى من الظروف، وان الدأب جزء من شخصيته، ولنقلها من "موهبته".

اذن ما اجدرنا ان نفرح وان نعنى بالنبتة الجديدة وان نتعهدها بالرعاية لتستطيع مواصلة الاثمار.

وما احوجنا الى نشر تراثنا محققا يصبر وباسلوب علمي في كثير من نكران الذات بل الرغبة الملحة الى نكران الذات عن هذا الطريق.

اذ ادعو الى هذا، اعلم جيدا اننا لا ولن نعنى بالسيد خليل لاننا لم نبلغ من السهر على تراثنا الدرجة التي نشعر معها باهمية ميلاد محقق، ولاننا لم نبلغ من المتانة بحيث نقوم الامور بمقاييسها الطبيعية التي خلقت لها وانبثقت عنها.

ارجو الا يضيع الاستاذ خليل ابراهيم العطية كما ضاع كثيرون. ولكن ، لا لن يضيع الاستاذ خليل، لانه سيرعى نفسه وسيثبت كفايته بما مكلت يده وبما هو مستعد للتضحية به وكل ما في الامر اننا كنا نطمح ان نسهل له السبل وتختصر امامه الخطوات ليؤدي خدمة بيسر وغزارة.

تهانينا بالمحقق الوليد وكلنا امل، بل ثقة بتحقيق يتبعه تحقيق – والى

خليل العطية وكتاب خليل العطية وكتاب التركيب اللغوي

د. سيد عشماوي

اما الفصل السادس فكان لدلالة الالفاظ عند السياب، وقف فيه على جملة من مفرداته ببيان معانيها المعجمية وما خرجت اليه من دلالات هامشية او اجتماعية، الى جانب دراسته لبعض الالفاظ التي اثرها فكثرت في شعره واخيرا، فهذا اللون من التاليف حاول المؤلف فيه ان يظهر رأي الفصيحة في معظم الظواهر اللغوية عند دراسته لاشعار السياب

د. سيد عشماوي

بالتاكيد ليست هي المحاولة الاولى من نوعها، رغم ان المؤلف قد ذكر ذلك في تقديمه لكتابه (لقد كتبت عن بدر شاكر السياب دراسات شتى بلغت سنة ١٩٧٨ مائة وخمسين كما دل الاحصاء الذي اصطنعه عبد الرضا علي في – الاسطورة في شعر السياب – فيها البحث المتأنى كما ان فيها المقال العجلان ولا شك ان هذا العدد ليسبالنهائي ولن يكون! بيد انك تفتقد فيها جميعا الحديث عن التركيب اللغوي لشعره، الا دراسات قليلة...)

وهذا ما يعطي الكتاب ميزة هامة، اذ ان الكتابة في بعض الجوانب من لغة السياب، وبعد انقضاء كل هذه السنوات امر يجعل الظاهرة محل الدراسة، تحت عين الباحث مكتملة التكوين، ولهذا فنحن نلح على ضرورة ان نعتني، ربما اكثر من اي وقت مضى، بالتعرف على انتاج الاخرين، ليس هذا فحسب بل يجب ان نثمن جيدا اي عناء ومشقة يتكبدهما المفكر الفرد في سبيل بحثه العلمي، اليس العلم بحثا نظريا، بمعنى انه جهد مبذول للمعرفة والفهم الذي يحيط بظواهر الطبيعة على ان تشمل الطبيعة كلا من الانسان والعالم المحيط به؟!!

ومؤلف هذا الكتاب الدكتور خليل ابراهيم العطية، استاذ فقه اللغة في كلية الاداب، جامعة البصرة (العراق) والذي يعمل منذ سنوات في معهد اللغة والادب العربي، جامعة باتنة (الجزائر)، والذي تخرج على يديه مئات الطلاب، ولا يزال يشرف على رسائل جامعية عديدة، له عشرات م الدراسات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر.

ديوان المزرد وديوان ليلى الاخليلية، ديوان مسكين الدرامي وديوان لقيط الايادي وديوان عمرو بن قميئة وفعلت وافعلت لابي حاتم والتقفية في اللغة للبندنجي والبحث الصوتي عند العرب، والعنوان في القراءات لابي الطاهر الانصاري وبقية التنبيهات لعلي بن حمزة البصري ودراسات في اللهجات العربية وملامح الدرس اللغوي في القرن الثالث الهجري، الى غير ذلك من الدراسات المنشورة او غير المنشورة في الصوتيات والمعجميات واللهجات.

و(التركيب اللغوي لشعر السياب) والذي صدر هذا العام (١٩٨٦م) عن دار الحرية للطباعة (بغداد) بحث يهدف الى دراسة جوانب من لغة السياب: يدرس صيغه وتراكيبه والعلاقات السياقية التي ولدها بينها، ومفرداته التي استعملها واثرها فتردد في قصائده، وصدى ذلك كله في العربية الفصحى، وذلك من خلال مجموعته الكاملة التي اصدرتها دار العودة (بيروت) عام ١٩٧١ والتي تمثل عامة شعره.

وهذه الدراسة تشتمل على ستة فصول تتقدمها مقدمة وتقفوها خاتمة، عالج في الفصل الاول صلة الشاعر باللغة واختلاف لغة الشعر عن لغة النثر، والرخص التي منحت له دون الناثر بعده مبدعا، والمبدع محتاج الى شيء غير قليل من حرية القول، على ان لا نترك له الخيل على الغارب، فوجب ان تكون الفصيحةديدنه، وان لا يخرج عنها لكونها لغة الامة ولسانها وهويتها.

والشاعر احد جوانب اثراء اللغة، بما يصطنع في اثناء خلقه القصيدة من تراكيب وعلاقات سياقية ومفردات حين يخرجها من عزلتها المعجمية الى عوالم تنبض بالايماءة الدقيقة والمغنى المبتكر الجديد. في الفصل الثاني الم الدارس بثقافة السياب ومنابعها العربية والاجنبية، فقد افاد السياب من المعجم العربي، في فترته الاولى، والكتب المقدسة: كالقرآن الكريم والاناجيل والتوارة، وكان صدى ذلك ما وجدناه في شعره من توىف لرموز هذه الكتب توظيفا ناجحا في كثير من الاحيان، كذلك افاد من ثقافته الاجنبية حين اثرى شعره بالرموز والاساطير وان كان ارهقه في بعض الاحيان بها، ان تأثير هذه الثقافة يبدو جليا في مجموعته (انشودة المطر) بما تلاها من مجموعات.

اما الفصل الثالث فخصه باثر الدارجة في شعره وخاصة تلك الظواهر التي تسربت اليه دون وعي منه، وهي ظاهرة شاعت عند كثير من شعراء العصر وعقد الفصل الرابع للصرف، فوجده عند السياب مشتملا على جملة من الصيغ والتراكيب بعضها تعرفه الفصيحة واخرى تنكره لخروجه على المألوف والمتعارف عليه عرفته (جديد) فصيحة العصر، منها ولعه بالتضعيف وتأنيث المصدر، وشيوع البناء الرباعي، واستعماله مؤنث الصفة المشبهة (فعلان) الدال على الخلو والامتلاء او الحرارة الباطنية من غير داء واتخاذه اسماء مفعولات لا تعرفها الفصيحة، الى جانب جموع لها وجه فيها واخرى تنكرها، فقد جمع السياب ماليس من حقه ان يجمع كاسم الجنس الجمعي، لانه دال على الجمع فكيف يجمع !!.

فالشاعر قد ارتجل صيغا وتراكيب جديدة في شعره ولها في الفصيحة نظائر او ما يشبهها في الشعر والنثر.

اما موضوع الفصل الخامس فقد خصه للنحو في شعر السياب، فدرس الجملة الشعرية والحال، وجواب لولا، وجواب الطلب، وواو العطف في مطلع بعض القصائد واستعماله (من) الزائدة لعموم التوكيد والتعدية واللزوم، واستعماله (قد) الدالة على التحقيق قبل (لا) وما الى ذلك.

اما الفصل السادس فكان لدلالة الالفاظ عند السياب، وقف فيه على جملة من مفرداته ببيان معانيها المعجمية وما خرجت اليه من دلالات هامشية او اجتماعية، الى جانب دراسته لبعض الالفاظ التي اثرها فكثرت في شعره واخيرا، فهذا اللون من التاليف حاول المؤلف فيه ان يظهر رأي الفصيحة في معظم الظواهر اللغوية عند دراسته لاشعار السياب، وما من شك في انه تأليف يفيد الدارس من عدة نواح، اذ انه يسهم في فهم طبيعة تطور التفكير اللغوي عند احد رواد الشعر العربي المعاصر، ويساعد على معرفة طبيعة تطور اللغة في تلك الحقبة موضوع الدراسة، ولا يخفى ما في هذه المحاولة من صعوبات وما تحتاجه من جهد جثيث في الرجوع الى المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع، وفي اختياره للمنهج الوصفي التحليلي بكل ما يتضمنه من جهد وصبر وحرص على الدقة.

في ثنايا هذه الدراسة طائفة من التساؤلات، سعى الدارس حقا الى الوصول الى ما يمكن الاجابة السليمة عنها، واعترف حقا، انني استفدت استفادة بالغة خاصة عند قراءة الفصل الاول (الشاعر واللغة)، وكل ما ارجوه هو ان يسد هذا البحث فراغا في المكتبة العربية التي ينقصها الكثير، والكثير جدا في مجال الدراسات اللغوية.

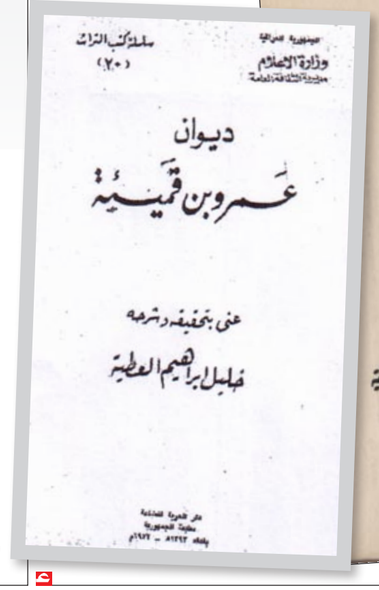

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2218)
السنة الثامنة
الخميس (11)
اب 2011

خليل العطية.. عالم جليل

د. نبيل ابراهيم

د. نبيل ابراهيم

انجبت واسط الكثير من العلماء والمفكرين والمبدعين في شتى الفنون والعلوم قديمها وحديثها. ولعنايتنا بشأن المحدثين منهم وتسليط الضوء على جهودهم العلمية، كان لزاما علينا ان نبدأ بالذين غادروا عالمنا الدنيوي الى عالم الاخروية تاركين فرصة تسليط الضوء على العلماء المتقدمين الى زمائنا المؤرخين والمختصين بادب عصور ما قبل الاسلام وما بعده.

وقد تكون المصادفة التي جمعتني بالاخ احمد العطية نجل الاستاذ العلامة الراحل خليل العطية الدافع الاساس الذي رسم لي طريق البداية في متابعة جهود علماء واسط المتأخرين فكان لقائي به محل تقدير واعتزاز.

واستذكار لمسيرة واحد من العلماء الواسطيين الاجلاء فكان احمد المصدر الاول لهذا المقال فضلا عما كتبه شقيقا الفقيد. اولهما الاديب المبدع والمفكر الموسوعي جليل العطية (جريدة المؤتمر ٢٠٠٠ لندن) وثانيهما الباحث والكاتب الجميل نبيل العطية (جريدة الجمهورية العراقية ٢٠٠٢)، اذ افدت منهما كثيرا واخذت مما كتبوا لقربهما منه، واضفت الى ما كتبا ما اختزنته الذاكرة من شؤون لها علاقة بشيخنا جمعت ابان زمن التلمذة في كلية اداب جامعة البصرة نهاية سبعينيات القرن الماضي ومطلع ثمانينيات القرن ذاته.

- خليل ابراهيم عطية عليوي الزبيدي من مواليد مدينة الكوت (مركز محافظة واسط) سنة ١٩٣٦م، ولد في اسرة متوسطة الحال امتهن ربها تجارة الحبوب.

- انهى دراسة المراحل الاولية في مدارسها والتحق بدار المعلمين الابتدائية ببغداد ليتخرج فيها سنة ١٩٥٥ ويعين معلما في مدينة الكوت.

- كان رحمه الله من المعلمين الاكفاء ممن يشار اليهم بسعة العلم والمعرفة، وعلو المقام والتحلي بالخلق الرفيع وهذا ما يشهد به زملاؤه في المهنة وجميع الذين تتلمذوا له في الدراسة الابتدائية.

- دفعه طموحه الى اكمال دراسته، فالتحق بدار المعلمين العالية ببغداد (كلية التربية لاحقا) ليتخرج فيها سنة ١٩٦١م بشهادة الليسانس ويعود مدرسا في دار المعلمين في الكوت ثم معهد المعلمين، ليشد الرحال - بعد ان قضى في التدريس ما يقارب الـ (٨) سنوات - الى القاهرة لينضم الى طلبة كلية الآداب بجامعة (عين شمس) ليحصل على درجة الماجستير بتفوق عن رسالته (كتاب فعلت وافعلت لابي حاتم السجستاني - دراسة وتحقيق) سنة ١٩٦٩م.

- عاد الى العراق ليعين بجامعة البصرة مدرسا لفقه اللغة العربية سنة ١٩٧٠، وقد كان (رحمه الله) من الاساتذة المبرزين في النشاط العلمي والفكري، مما جعل عمادة كلية الآداب ترشحه لتولي رئاسة قسم اللغة العربية فيها.

- مع مسؤولياته المهنية في البحث والتدريس اشرف على المركز الثقافي التابع لجامعة البصرة، فشهد المعهد في عهده نشاطا فكريا واضحا وكبيرا دفع الكثير من المبدعين العراقيين والعرب الى المشاركة في نشاطات المركز وفعالياته الفكرية والثقافية.

- ثم ينطلق مجدداً الى القاهرة والى جامعة عين شمس تحديدا ليعود بدرجة الدكتوراه سنة ١٩٧٣م عن اطروحته الموسومة بـ (كتب التقفية في اللغة للبندنيجي ، مع بحث عن الدراسات اللغوية في القرن الرابع الهجري).

- في زمن توليه رئاسة قسم اللغة العربية بكلية اداب جامعة البصرة ، كان مدرسا بارعا لمواد (الدراسات المعجمية، وفقه اللغة، وعلم اللغة، والدراسات الصوتية، واللهجات العربية وذلك في الدراستين الاولية والعليا).

واذكر من معاصريه من الاساتيذ الذين تتلمذنا لهم، الدكتور صاحب جعفر ابو جناح (شقيق الشاعر الكبير حسب الشيخ جعفر) والدكتور قصي سالم علوان الجلبي والدكتور شجاع مسلم العاني والدكتور احمد ابو مطر والدكتور زاهد زهيد غازي والدكتور حسن البياتي والدكتور مصطفى عبد اللطيف والدكتور عبد القادر خليل والدكتور عبد السلام الشاذلي والدكتور عب دالجبار المعيبد والدكتور عبد الجبار عبد الرحمن والدكتور مزهر السوداني، كما تحضرني اسماء قسم من زملائي الذين اشتغلوا - لاحقا - في المجالين الاكاديمي والابداعي، وهم: الدكتور فاخر الياسري والدكتور المرحوم جمهور كريم والدكتور عامر السعد والدكتورة رضية شرهان والدكتور باسم الياسري والشعراء الرائعون جمال جمعة وعقيل سيد زيارة ووديع شامخ والقاص المبدع قصي الخفاجي والفنان التشكيلي صباح مصاول واخرين استميحهم عذرا لضعف ذاكرتي بعد اكثر من ثلاثة عقود.

- استمر في عمله رئيسا لقسم اللغة العربية حتى سنة ١٩٨٤م الى ان تم انتدابه للتدريس في معهد (باتنه) بالجزائر، وهناك تولى مهمة الاشراف على كثير من الرسائل والاطاريح العلمية لـ(٤) سنوات، ليعود بعدها الى البصرة، ثم ينتقل الى الجامعة المستنصرية في بغداد سنة ١٩٩٣م، وقد التقيته هناك زميلية (استاذي) الدكتور حسن البياتي والدكتور صاحب ابو جناح، فكان كما كنت اعهده قبل سنين طويلة من مفارقتي له انسانا رائعا وعالما كبيرا لا يبخل على سائليه بنصح وتوجيه وعلم لا حدود له، وكم كنت اتمنى ان لا افارقه لانهل من علمه ومعارفه الا ان الظروف الصعبة التي كان يمر بها العراق حالت دون تحقيق رغبتي تلك، فبقيت مدرسا قي معهد المعلمين في الكوت، ثم جامعة القادسية لاحقا وجامعة واسط بعد استحداثها.

- اشرف على عدد كبير من رسائل الماجستير واطاريح الدكتوراه التي تقدم بها طلبة عراقيون وعرب تزيد على (٦٠) رسالة واطروحة، واستمر ببذل اقصى ما يمتلك من جهد في خدمة العلم، على الرغم مما كان يعانيه من امراض جسدية ونفسية داهمته في سنواته الاخيرة حتى رحيله الى رحمة ربه في التاسع من ربيع الثاني سنة ١٤١٩هـ الموافق للثاني من آب (اغسطس) سنة ١٩٩٨ م تاركا ارثاً علمياً كبيراً بين محقق ومؤلف، مطبوع ومخطوط.

- حصل على لقب استاذ سنة ١٩٨٩م.

- توزعت جهوده العلمية (رحمه الله) بين التأليف والتحقيق والبحث العلمي، ومن آثاره.

أولاً: في تحقيق الشعر:

١. ديوان المزرد بين ضرار القطفاني، بغداد ١٩٦٢.
٢. ديوان ليلى الاخيلية، بغداد ١٩٦٧، ثم الكويت ١٩٧٧.
٣. ديوان توبة بن الحمير الخفاجي، بغداد ١٩٦٨.
٤. ديوان لقيط بن يعمر الايادي، بغداد ١٩٧٠.
٥. ديوان مسكين الدارمي، (بمشاركة عبد الله الجبوري) بغداد ١٩٧٠.
٦. ديوان عمرو بن قميئة ، بغداد ١٩٧٢.
٧. خلق الانسان، لمحمد بن حبيب ، القاهرة ١٩٩٤.
٨. معجم المساعد، لأب انستانس ماري الكرملي (د.ت.ط).
٩. الهمز لأبي زيد الانصاري، (تحقيق)، (د.م.ت.ط).

رابعاً: مخطوطات قيد الطبع:

١. البندنيجي، حياته واثاره، (تأليف).
٢. التعدي واللزوم، (تأليف).
٣. دراسات في اللهجات العربية، (تأليف).
٤. الدرس اللغوي عند الكوفيين، (تأليف).
٥. شعر نازك الملائكة ، دراسة لغوية، (تأليف).
٦. فصيحة العصر، (تأليف).
٧. في علم الدلالة ، (تأليف).
٨. لغويون بصريون (تأليف).
٩. ما انفقت الفاظه واختلفت معانيه، لابن الشجري (تحقيق).
١٠. ملامح الدرس اللغوي في القرن الثالث الهجري (تأليف).

يقول فيه شقيقه جليل العطية:

كان اخي خليل يكبرني باربع سنوات، وفي مرحلة مبكرة من حياتنا كنا نستمع الى والدنا وهو يردد في احيان كثيرة ابياتا من الشعر للمتنبي، هكذا كان دأب الوالد، الترنم بالشعر بمناسبة او بدونها، فقد كان يحفظ نصف ديوان المتنبي، وثلثي ديوان الشريف الرضي ونصوصا لا حصر لها من (نهج البلاغة). وكان خطيبا جهوري الصوت مشاركا في المناسبات الدينية التي تقام في مسجد المدينة وسواء من الاماكن العامة.

في هذه البيئة نشأ (خليل) محباً للشعر والادب والنكتة ايضا. وفي المدرسة الابتدائية (الكوت المركزية) علي به السيد هاشم الخطيب، الذي كان من خيار المربين، الى ان جاءت مراحل الدراسة في دار المعلمين وما تبعها من دراسات عليا في الماجستير والدكتوراه.

- كان - رحمه الله - قد تتلمذ لحشد من الاساتذة والعلماء اظهرهم: الدكتور مصطفى جواد، والدكتور علي جواد الطاهر، والدكتور محمد مهدي البصير. وقد اعترف بفضل هذه الكوكبة من العلماء ، اذ كان يعدهم نجوماً يستضيء بسماه.

- كانت افضل اوقات عالمنا الجليل تلك التي يقضيها بالقراءة والكتابة والبحث في متون المعاجم اللغوية، وكان الهم الأكبر الذي يؤرقه هو تعلم اللغة السريانية لايمانه باهميتها ف الدرس اللغوي، وقد قطع شوطا كبيرا في تعلمها بعد ان يسر له (كوركيس عواد) سبل ذلك.

-كانت عنايته - رحمه الله - شديدة باللهجات العربية، ونشر دراسات مهمة عن لهجات هذيل وطي وزبيد وعقيل وغيرها من القبائل العربية، وفي اثناء اقامته في البصرة اجرى دراسة مميزة عن لهجة اهل الزبير بعدهم من البصريين الاوائل وكانت دراسة ميدانية علمية، وعندما زار صنعاء بدعوة من جامعتها وضع ملاحظات عن لهجة ابنائها، وكذلك فعل بالجزائر.

- كان العالم العطية شديد الاعتزاز بصلاته بعلماء عصره، حريصا على حضور مجالسهم، واذا كان من البديهي ان تكون له صلات وروابط بمعظم علماء العراق، فانه كان يقيم امتن الروابط مع العلماء العرب من مختلف الاقطار العربية، منهم على سبيل المثال لا الحصر، الشيخ حمد الجاسر (علامة الجزيرة العربية)، والدكتور شكري فيصل، والاستاذ احمد راتب النفاخ، والدكتور احسان عباس والدكتور عزة حسن، والشيخ محمود محمد شاكر، فضلا عن استاذه الدكتور رمضان عبد التواب الذي شغل موقع عميد كلية الاداب بجامعة عين شمس - سابقا - وفي الأخر لا نملك إلا ان نقول: رحم الله ابا رافد واسكنه فسيح جناته جزاء ما قدمه في خدمة

اذكر من معاصريه من الاساتيذ الذين تتلمذنا لهم، الدكتور صاحب جعفر ابو جناح (شقيق الشاعر الكبير حسب الشيخ جعفر) والدكتور قصي سالم علوان الجلبي والدكتور شجاع مسلم العاني والدكتور احمد ابو مطر والدكتور زاهد زهيد غازي والدكتور حسن البياتي والدكتور مصطفى عبد اللطيف والدكتور عبد القادر خليل والدكتور عبد السلام الشاذلي والدكتور عب دالجبار المعيبد والدكتور عبد الجبار عبد الرحمن والدكتور مزهر السوداني

مع مجموعة من اساتذة وطلبة الجامعة المستنصرية

العطيـة وصفـات العلماء

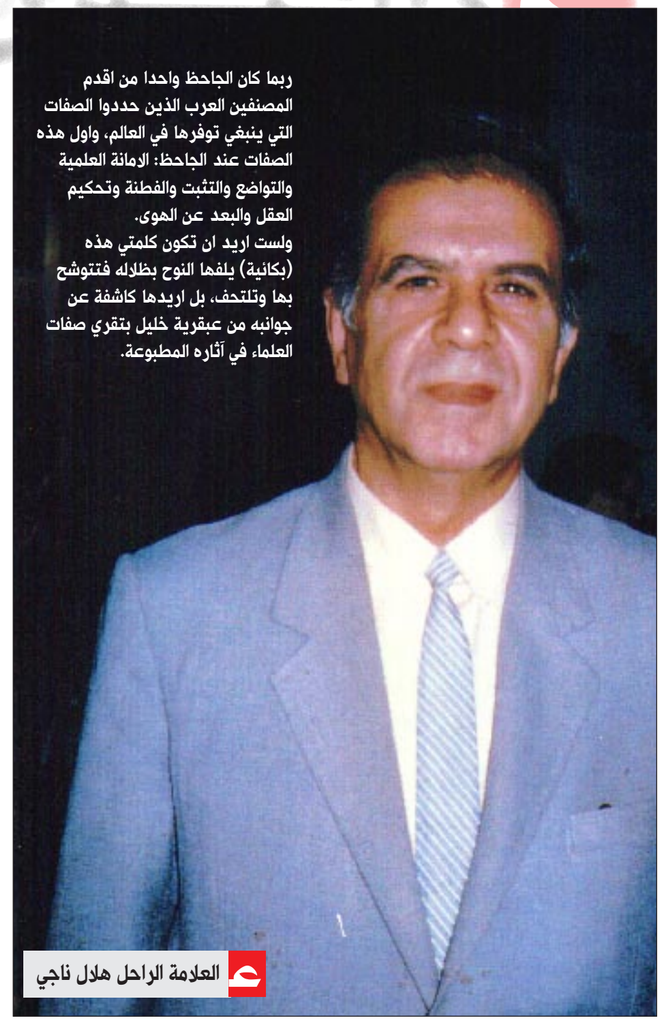

العلامة الراحل هلال ناجي

ربما كان الجاحظ واحدا من اقدم المصنفين العرب الذين حددوا الصفات التي ينبغي توفرها في العالم، واول هذه الصفات عند الجاحظ: الامانة العلمية والتواضع والتثبت والفطنة وتحكيم العقل والبعد عن الهوى.
ولست اريد ان تكون كلمتي هذه (بكائية) يلفها النوح بظلاله فتتوشح بها وتلتحف، بل اريدها كاشفة عن جوانبه من عبقرية خليل بتقري صفات العلماء في آثاره المطبوعة.

الامانة العلمية: قلت ان (الامانة العلمية) هي اول الصفات التي اشترط الجاحظ توفرها في العلماء الباحثين. ولقد اتفق علماء السلف والخلف على ان الامانة العلمية هي حجر الزاوية في خلق العالم ويفقدانها ينقلب الى مرتبة لصوص الفكر.

في كل اعماله التحقيقية كان الفقيد ينسخ المخطوطة بنفسه او ينسخ حصته منها ان كانت مشتركة. ولم يرض لنفسه ان يسلك مسلك بعض اساتذة كلية آداب بغداد الذين اباحوا لانفسهم تسخير طلبتهم في نسخ المخطوطات ثم توجيه الشكر في المقدمة لتلميذهم النجيب الذي انجز ذلك، حتى شاعت واذاعت حكاية التلميذ النجيب.

ثم هو يضبط ما احتاج من حروف النص الى ضبط، ويخرج الايات والاحاديث والامثال والاشعار، ويعرف باعلام النص ويشرح ما غمض من الفاظه معتمدا جهد، الخاص ودون النقل من هوامش غيره وكان في كل ذلك مثالا للامانة العلمية.

اضافة الجديد المجهود الى دنيا المعرفة: الكشوف الادبية تقابل في نظري الكشوف في حقول العلوم الصرفية وحين يستطيع كاتب او محقق او يكشف جديدا يضيفه الى دنيا المعرفة، تتحقق فيه صفة العالم المكتشف. وقد اتيح لخليل ان تتحقق فيه هذه الصفة النادرة وساضرب على ذلك الامثلة التالية:

١. لقد وفر في اذهان كل المشتغلين في علوم اللغة ان الجوهري صاحب اصحاب الغربية، هو مبتكر طريقة ترتيب الكلمات على القوافي، وصرح في مقدمته انه مبتكرها لان طريقة معجم "العين" كانت عسيرة.

وجاء خليل العطية لكيشف لنا ان ما ناله الجوهري غير صحيح وان لغويا اخر هو البندنيجي سبقه الى ابتكار هذا النظام في معجم "التقفيه" الذي تولى تحقيقه ونشره، وكان البندنيجي اسبق وفاة من الجوهري بمئة وست عشرة سنة.

كل الذين ظنوا ان ابن منظور في "لسان العرب" والفيروز ابادي في "القاموس المحيط" والزبيدي في "تاج العروس" ساروا على منهج الجوهري في "اصحاحه" كانوا مخطئين والصواب انهم ساروا على طريقة البندنيجي التي سار عليها الجوهري.

فهذا الكشف الخطير في ميدان اللغة وهو من كشوف الراحل الكبير.

اكد حقيقة ثانية هي عبقرية العراقيين عبر العصور، فالبندنيجي من (بندنجين) وهو الاسم القديم لمدينة (مندلي) الحالية.

ابو بشر اليمان بن ابي اليمان البندنيجي المتوفي عام اربعة وثمانين ومئتين عبقرية عراقية خالدة كشف عنها خليل العطية.

٢. وكان قد وفر في الاذهان ان كتاب الاصمعي في "الفرق" هو اقدم كتاب وصلنا كاملا في موضوعه وقد نشره المستشرق (موللر) في مجلة "SBWA" في فينا سنة ١٨٧٦ والاصمعي كما تعلمون توفي عام ستة عشر ومئتين.

وكان (رودلف جاير) قد نشر قطعة من كتاب "قطرب" في الفرق تصلح ان تسمى مختصرا، نشرها في فينا سنة ١٨٨٨ والفرق لغة اختلاف تسمية اعضاء الجسم ووظائفه الحيوية بين الانسان والحيوان والطير.

وجاء الفقيد خليل العطية نيكشف لنا نسخة كاملة من الكتاب، حققها ونشرها، فكانت كشفا لغويا خطيرا حقا، لانه وفق الى نشر اهم كتاب في "الفرق" صنفه قطرب محمد بن المستنير اللغوي البصري المتوفى قبل الاصمعي باعوام ستة.

٣. مثل هذا يقال عن كتاب "فعلت وأفعلت" الذي نسب في الفهارس ضلة الى الاصمعي وحققه منسوبا الى مصنفه ابي حاتم السجستاني والامثلة كثيرة على ما ذكرناه.

العالم في حقل علوم العربية، يشترط فيه ان يكون مكتشفا لحقائق علمية كانت خافية في عصرنا، وبذلك يضيف حقائق جديدة الى دنيا المعرفة وقد توافرت في خليل العطية هذه الصفة كما اوضحنا بالدليل العلمي.

لقد كان خليل يفترع الابكار من النصوص والبحوث وتلك صفة من صفات العلماء.

الرحلة في طلب العلم: معلوم ان علماء السلف الصالح كانوا يشدون الرحال رغم صعوبة الحال في طلب العلوم، ومعلوم ايضا ما اثر من حديث شريف "اطلبوا العلم من المهد الى اللحد" فالرحلة في طلب العلم كانت ولم تزل من سمات العلماء . وفقيدنا الغالي رحل الى مصر واغترب اعواما في بواكير شبابه حتى ظفر بشهادتي (الماجستير) و(الدكتوراه) من جامعات مصر، وظل يلاحق المطبوع والمخطوط في حقل اختصاصه ملاحقة نادرة والرحلة في طلب العلم كما قلنا من صفات العلماء.

اشاعة العلم ونشره: روي عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – انه قال: "الله اجود الاجواد وانا اجود ولد آدم، واجودهم من بعدي رجل علم علما فنشر علمه، يبعث يوم القيامة امة وحده". وقال (ص) ما تصدق رجل بصدقة افضل من علم ينشره". وقال: "مثل الذي يتعلم العلم لا يحدث به الناس كمثل الذي رزقه الله مالا لا ينفق منه".

وقد كان الفقيد شيخ علم ناشرا للعلم بطبيعة مهنته. وقد تخرج على يديه عشرات بل مئات من طلبة الجامعات العراقية في بغداد والبصرة، وبينهم اساتذة فضلا، ارى بعضهم بينكم. هذا غير كتبه وبحوثه التي حققها وصنفها ونشرها بين الناس، فاشاع علمه، فكان ذلك من افضل صدقاته.

وهذه الصفة بالذات من صفات العلماء الاصلاء، لان البخل بالعلم منقصة تذكر فتذم.

التواضع والوفاء وعرفان الجميل :التواضع والوفاء وعرفان الجميل من خلائق العلماء الاصلاء وصفاتهم ومن يقرأ مقدمات مصنفاته المطبوعة يجد آية ذلك.

ففي باب الوفاء وعرفان الجميل نجده يذكر كل الذين اسدوا له فضلا علميا مفصلا القول في ذلك هو يذكر فينكر فضل الدكتور عزة حسن في تزويده بمخطوطة "ديوان شعر توبة" بمخطوطة في الاستانة والتي كانت عونا له ي اخراج ديواني توبة بين الحمير الخفاجي وليلى الاخيلية، وهو يقول عن الشيخ حمد الجاسر الذي زوده بمخطوطة فريدة في الاستانة من كتابة "الثقفية": (تلك تكرم فبعث نسخة مصورة مكبرة منه إلي واجازني في تحقيقه فضرب امثولة طيبة لروح العالم المخلص المحب لترا امته).

وهو يذكر ويشكر الاستاذ السوري الدكتور محمد علي سلطاني الذي زوده بمصورتين لمخطوطتي الظاهرية بدمشق من كتاب "العنوان في القراءات السبع" لابي طاهر اسماعيل بن خلف الاندلسي. ووجه الشكر الى الدكاترة: رمضان عبد التواب وعلي جواد الطاهر ويوسف عز الدين الذي ساعدوه في الحصول على مصورات "ديوان لقيط بن يعمر الايادي" وغير ذلك كثير.

وقد كان (ابو رائد) عذب الروح متواضعا.. اخذا بقول رسول الله عليه الصلاة والسلام "ان التواضع لايزيد العبد الارفعة، فتواضعوا يرفعكم الله" وقوله: "لا تكونوا جبابرة العلماء". فما اعرف له في مقدمة اي كتاب من كتبه فخرا ولا زهوا ولا تعاليا، بل كان يقدمها في صمت وتواضع، وكذلك كان تواضعه بين طلبته، لم اسمعه يوا يفتخر بعلمه ورحم الله ابن عبد البر القرطبي القائل (من ادب العالم ترك الفخر بما يحسنه). لقد كان الفقيد آية في التواضع العلمي وتلك واحدة من ارز صفات العلماء. وعندنا صورة رائعة واصيلة من صور وفائه، ذلك انه حسن علم بنية احبابنا في اصدار كتاب تكريمي بمناسبة بلوغي السبعين من عمري بادر الى اهدائنا نصا محققا نادرا في "الهمز" لابي زيد الانصاري منه بالمناسبة، وسيصدر هذا النصر – ان شاء الله – ضمن بحوث سبعين جامعيا اسهموا فيه من الخليج الى المحيط.

البعد عن الهوى: واختتم كلمتي هذه ذكر خصيصة من ابرز خصائص العلماء عند الفقيد هي البعد عن الهوى، ومعلوم ان (خليلا) كان علوي الهوى ومن شيعة آل البيت.

لكن روح العالم عنده غلبت هواه، فلم يتحرج من صنع ديوان (مسكين الدرامي) وهو يعلم ان مسكينا هذا هو الذي استعان به معاوية لترشيح ابنه يزيد للخلافة، وكان معاوية يتهيب من ذلك لكثرة المرشحين لها امثال مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وواهما، فكان مسكين الدرامي الداعية لترشيح يزيد في قصيدته التي منها:

كل الذين ظنوا ان ابن منظور في «لسان العرب» والفيروز ابادي في «القاموس المحيط» والزبيدي في «تاج العروس» ساروا على منهج الجوهري في «اصحاحه» كانوا مخطئين والصواب انهم ساروا على طريقة البندنيجي التي سار عليها الجوهري. فهذا الكشف الخطير في ميدان اللغة وهو من كشوف الراحل الكبير.

انطباعات تلميذ عن شيخه

إشراقة وجه، وفصاحة لسان

د. اسعد محمد علي النجار

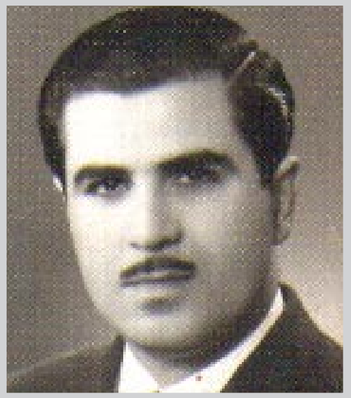

تتلمذت على يد شيخي المرحوم الدكتور خليل ابراهيم العطية في دراستي الاولية، ودراستي العليا (الماجستير) في كلية الاداب/ جامعة البصرة – قسم اللغة العربية. درستي في الدراسات الاولية مادة النحو، وكان يومها – يحمل شهادة الماجستير، فوجدته استاذا فاضلا يجمع بين الجد والمرح، وفي جذباته جمعت النكتة والطرافة والعلم والمعرفة، ويوم عدت الى جامعة البصرة نهاية الثمانينيات لدراسة الماجستير، وجدت العطية رئيسا لقسم اللغة العربية، وقد درستي مادتي علم الدلالة، وعلم الاصوات، واحسب انه من الاوائل، او السباقين في ادخال هاتين المادتين في الدراسات العليا..

كان شيخي العطية صديقا صدوقاً، واخاً وفياً حمل سمات العلماء من تواضع وصبر ونقاء سريرة وصفاء قلب واخلاص نية، اتخذ من طلبة الدراسات العليا اخوة له، ولم تكن محاضراته اسقاط فرض، او واجبا لابد منه، بل كان يتفاعل مع المحاضرة، يغذيها بما يملك من معلومات، تعليق هنا، واضاءة هناك وطرفة بين هذا الرأي وذاك مما يجعل ساعات المحاضرة الثلاث قصيرة شائقة.

اتسم المرحوم العطية بالجرأة والشجاعة في طرح رائيه المستندة الى الخبرة والتجربة، بالرمز تارة، وبالصراحة تارة اخرى بحسب اصناف سامعيه وتوجهاتهم، من ذلك، كلف مرة بادارة احتفال يقام في جامعة البصرة في ميلاد الرئيس المخلوع، ولهذا التكليف دلالات لا تخفى على طلابه ومريديه، فما كان منه، إلا ان يعتلي المنصة، فينظر الى وجوه الجالسين، ويقول بطرافته المعهودة بعد القاء السلام والتحية "مركه اخاك لايطل"، وفي هذا المثل السائر دلالة عميقة، اظهر ما في قلبه من مقت لهذا التكليف، واشمئزاز لهذا العمل.

اما تعليقاته للاذاعة، فكثيرة جداً، كان يجد فيها متنفسا، لما يعانيه من ضغط المسؤولين عليه، من ذلك جاءه احد طلبة الصف الرابع ببحث كان مكلفا به في مادة فقه اللغة، قلب المرحوم العطية صفحات البحث، فوجد الطالب قد وضع الخاتمة اول البحث، ضحك المرحوم، ضحكة عميقة بانت نواجذه، وقال بلهجة شعبية "انت تسير عالمقلوب على خطى زماننا الحالي ومسؤولية". ومن ذلك، ان احد طلبة الماجستير جاءت بمسودة رسالته التي اتمها. قلب العطية صفحات الرسالة، فوجد ان الطالب وضع القرآن الكريم ضمن حرف القاف، وانه من تأليف الله سبحانه وتعالى، ضحك المرحوم، وقال مخاطبا الطالب، ضع الحديث النبوي ضمن حرف الحاء، وقل انه من تأليف النبي محمد ترأس المرحوم لجنة المناقشة التي منحتني شهادة الماجستير عام ١٩٩٠، وكان عضو لجنة المناقشة التي منحتني شهادة الدكتوراه عام ١٩٩٧، وكان يخاطبني بلفظة "مولانا". كان المرحوم العطية مشرق الوجه، فصيح اللسان، في صوته جهارة مستحبة، منسجمة مع جهاة خلقه، كان مرهف الحس، شديد الانفعال والتأثر، سريع الرضا، سليم دواعي القلب، مفرط الذكاء، راجح العقل، حصيفه، وافر النشاط، مستغرقا في العمل الجاد، كأنه يجد فيه راحة نفسه.

عرف بشخصيته القوية الجذابة، لعذوبة حديثه، وظرفه وسرعة بديهيته، وقوة ذاكرته، ورقة تسامحه، وصراحته، يقبل على محبيه بوجه بشوش، ونفس مفتوحة، وكل من يراه يمنحه حبه واحترامه. كان يحاول بكل جهده ان لايؤذي احداً، او يجرح مشاعر احد. كان شفافاً في علاقاته، يمنح الجميع حبه وحنانه.

وقف حياته على الدرس والبحث، يجد فيهما لذة ومتاعاً، يقرأ، ويطلع، ويحقق، ويؤلف، يشرح، ويعلق بمهمة لا تلبى، وعزيمة لا تتزعزع، كان رحمه الله مؤلفا بارعاً، ومحققاً متثبتاً، ومحاضراً جاداً.

رحم الله شيخنا الفاضل الاستاذ الدكتور خليل العطية، اسكنه فسيح جناته.

امشاج استاذي خليل العطية

د. قيس كاظم الجنابي

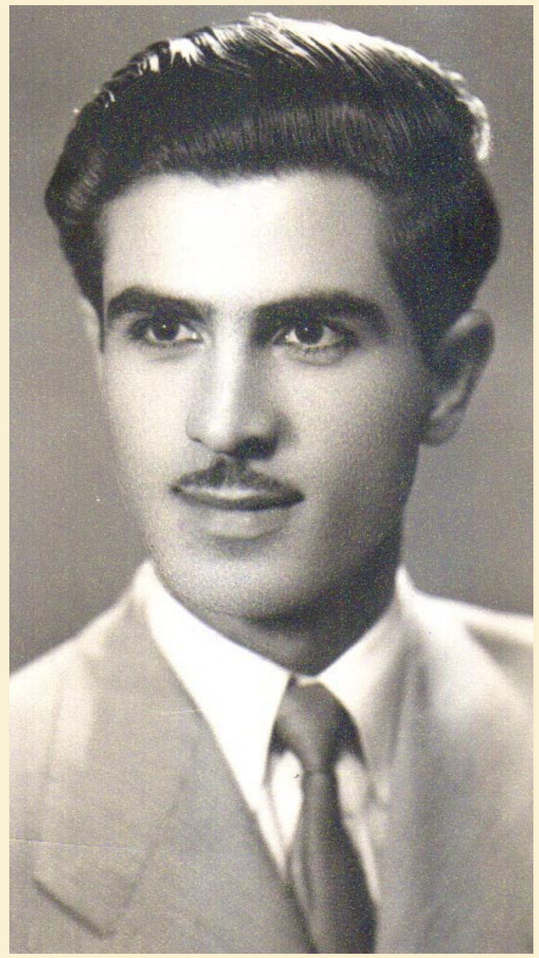

(١)

عرف المرحوم خليل ابراهيم العطية بجهوده بتحقيق المخطوطات ونشر الدواوين الشعرية، ومتابعة حركة البحوث اللغوية فاصدر العديد من المؤلفات، وقد تعرضت اوضاعه المالية والنفسية لضغوط خطيرة خلال سنوات الحصار الاقتصادي على العراق، وكنت اراه بين الفينة والفينة وهو يتابع النشاط البحثي في اللغة، مثلما كان يحقق ولنشر المخطوطات، فقد حقق كتابا معروفا في اللغة هو كتاب (فعلت وأفعلت) للسجستاني، وحقق ما كان مفقوداً من تنبيهات علي بن حمزة البصري الذي نشر قسمه غير المفقود العلامة الميمني، وكنت وقتها ارى انه اعاد تحقيق التنبيهات كاملة ولم ينشر البقية الباقية منها، وحين كان يدرسنا النحو واللغة بين الاعوام ٧٣ – ١٩٧٦م راق له ان يدخل النقد الادبي مع ثلة من الشباب الذين كان يدرسنا في كلية الاداب / جامعة البصرة، فاعجبه ان يقرأ شعر السياب فكتب عنه كتيبا صغيرا اصدرته الموسوعة الصغيرة بعنوان (التركيب اللغوي لشعر السياب) اشار فيه الى موضوع كنت اكتب فيه حين كنت طالبا ف البكلوريوس عن توظيف التراث الشعبي في شعر السياب رأيت فيه ان الموروث الشعبي اضاف اليه خصبا في تكوين الصورة، وحين نشرت الموضوع عام ١٩٨٠ في مجلة افاق عربية انذاك لم تفته هذه الاشارة الا وان ناقشها واثبت مصدرها في هوامس كتابه، وقال لي حين رأني: انك سبقت استاذك. وقد استغربت ذلك من استاذ لغوي بارز، لاني ارى بان الرجل كان يبالغ وطيلة حياته كنت اخشى ان اكتب شيئا عن مؤلفاته خشية الوقوع في اخطاء لغوية لا اسبر غورها، حتى انه عاتبني حين اهداني كتابه (فعلت وافعلت) ملحما الي بان اكتب عرضا عنه، وقد كتمت تحفظي في نفسي ، وقررت ان افعل ذلك مستقبلا.

(٢)

كتب الدكتور كتيبا ثمينا بعنوان (في الاصوات اللغوية) كان يجمع شتات جذاذاته حين كان يدرسنا فقه اللغة واللهجات العربية، وهو حول ظاهرة اللهجات العربية وبالذات لهجات القبائل مثل لهجة طيء وهذيل وتميم وغيرها، وهو في هذا يعمل في ميزان شانك يتقاسمه فيه ثلة من اللغويين العرب والمستشرقين، وبهذا كان الرجل يضيف الى تاريخه الكبير في تحقيق العديد من دودوين الشعر وجمعها جانبا مهما في رصد الحياة الاكاديمية والثقافية، وحين توفي الرجل اقيم له حفل تأبيني خاص شارك فيه العديد من زملائه ومحبيه، والقى المهتمون في علم تحقيق النصوص التراص العربي من امثال هلال ناجي.. وكانت وفاته خسارة عليمة كبيرة في الوسط الاكاديمي له في منافسون واصدقاء من امثال الدكتور سامي مكي العاني والمرحوم الدكتور نوري حمودي القيسي.

وقد كانت اطروحة الدكتوراه للشاعر الدكتور جميل المالكي عن الجهود العراقية في تحقيق التراث كشفا لجهوده ومن حذا حذوه في هذا الميدان.. ولعلي بهذه الاطلالة القصيرة استطيع الوفاء بجزء من وفاء التلميذ لاستاذه، وساكرر هذه المحاولة مع اساتذة اخرين من امثال قصي سالم علوان وناصر حلاوي كل من له حق في عنقي في ميدان الدراسة.

(٣)

لم يكن الرجل ناقدا بالمعنى الذي تعرفه، ولكنه محب للادب والثقافة ويرى في اندفاع الشباب وتفانيهم مثالا لايحتدى، فقد كان الرجل عصاميا طموحا حين عمل معلما ثم اكمل دراسته الجامعية فتخصص في اللغة العربية، ثم اكمل دراسة الماجستير في القاهرة، وقد رأيته ودرست على يده وهو لم يكمل الدكتوراه ثم ذهب الى القاهرة فاكمل الدكتوراه بوقت قياسي اذ انه هيأ عمله في تحقيق نص لغوي قبل ان يغادر، فكانت دراسته الاكاديمية في الكورسات وبعد ذلك شرع بتقديم اطروحته التي كانت موضوعا مهما، وقد حقق ونشر كل ما كتبه في ميدان الدراسة كالهمز لابي زيد الانصاري والذي نشر الدراسة عنه مستقلة عن جامعة البصرة، كما نشر عنها كتابه السجستاني (فعلت وافعلت) واليوم لم يبق من هذا الرجل الا جهوده اللغوية والنقدية التي تظل ميدانا خصبا للبحوث والاشادة، وهو الذي عاش في بيت علمي معروف من اخوته جليل العطية ونبيل العطية اللذين لهما جهودهما في تحقيق التراث العربي... فسلاما الى روحك الطاهرة يا استاذي خليل .. سلاما.

الموارد الثقافية

للدكتور خليل ابراهيم العطية

ماهر خضير هاشم

امتازت ثقافة خليل ابراهيم العطية بسعة الاطلاع، فقد كان دؤوبا على المطالعة والتأليف والتحقيق لايصرفه عن ذلك مرض او سفر، وكان يقول: "اعجب المثقف يضيع ساعة من وقته دون قراءة". ويذكر انه كان كثيرا ما يجلس في مكتبته يقرأ ويفكر ويتأمل ويكتب، فكان له انجازات كثيرة في التحقيق والتأليف تتجاوز اكثر من خمسة وعشرين كتابا، وله كثير من البحوث والمقالات وصلت الى اكثر من خمسة واربعين بحثا ومقالا، تفرقت في المجلات العلمية في المشرق والمغرب. وقد واظب منذ ١٩٦٢م على البحث اللغوي المتواصل المستمر، وعلى مدى اكثر من ثلاثين سنة، لم تختم الا بوفاته، فاللغة قد ملكته فشغف بها ووقف حياته في خدمتها.

وقد وصف لنا زهير غازي زاهد علاقة خليل العطية باللغة بقوله: انه كان "لغويا يظهر عشقه للغة على لسانه في اول لقائك به وكان جاداً في عمله، وولعه بتحقيق الشعر القديم خاصة، وكان ذا احساس لغوي مرهف، وحافظة تختزن ما يصل اليها، ولسان يلهج بالعربية يكاد يستعملها في كل مجالات الحياة فلا يخطئه السمع من اول نبرة ينطقها".

لقد تنوعت موارد ثقافته فكانت على موردين هما: ثقافة عراقية، وثقافة عربية، فمن كليهما اخذ نوعا من زاد ثقافته المتشعبة، ففي وطنه كانت اولى موارد ثقافته، اذ انبرت امامه اضواء الدراسة، وبدأ يتزود بالعلم مذ طفولته فكان دأب والده الترنم بالشعر بمناسبة او دونها، فلقد كان يحفظ نصف ديوان ابي الطيب المتنبي، وثلثي ديوان الشريف الرضي، ونصوصاً كثيرة من نهج البلاغة، وكان خطيباً جمهوري الصوت مشاركا في المناسبات الدينية التي تقام في مسجد مدينة الكوت وسواه من الاماكن العامة.

في هذه البيئة نشأ خليل ابراهيم العطية محبا الشعر والادب، فضلا عن ان عددا من رجال الدين والخطباء الذين كانوا يفدون الى المدينة في شهري المحرم ورمضان تولوا تحريك الجو الادبي والثقافي من خلال تقديم المواعظ والتذكير بمأساة اهل بيت الرسول – صلوات الله عليهم – وكان والده الذي تتلمذ على عدد من علماء النجف يعرف الكثيرين من هؤلاء الرجال، فكان يستضيف طائفة منهم في داره طيلة اقامتهم التي تمتد اسابيع عدة يتحول بيته خلالها الى مجلس يؤمه اهل الادب وحشد من الناس مما ادى ذلك الى تأثير كبير في توجيه الادبي. وفي مدرسة الكوت المركزية عني به السيد هاشم الخطيب، كان من خيار المربية. فاشتد ساعده وتمت قابلياته، على ان النقلة النوعية في حياته العلمية كانت انتقاله الى دار المعلمين الابتدائية ببغداد. هناك بهره احد مدرسيها الافذاذ "محمد احمد المهنا" "ت ١٩٦٠ هـ"، وقد وصف هذا المدرس تلميذه الوفي علي جواد الطاهر "ت١٩٩٦ هـ"، فقال: "ودرسنا اللغة العربية، وهنا لا نطيل فهو ابنها وابوها.. هو نحوي ان اردت النحو، وصرفي ان اردت الصرف ومؤرخ ان اردت تاريخ الادب، ولا تسل عما بين ذلك من انشاء واملاء ومحفوظات ودرسنا الجغرافية، الجغرافيات كلها.. عجائب الاستاذ محمد احمد المهنا كثيرة.. ولا تجد في هذه الدنيا رجلا مثله، مجرداً من الطمع متجرداً للخدمة العامة".

وفي هذه المرحلة بدأ خليل العطية ينظم الشعر العمودي، وكان يكثر مطالعة دواوين السيد محمد سعيد الحبوبي، وعلي الشرقي، ايليا ابو ماضي، وكانت هذه الدواوين وغيرها تحتل زاوية مهمة من مكتبة اسرته.

بعد ذلك قبل في دار المعلمين العالية "كلية التربية ببغداد، فكانت هذه المرحلة خصبة في مسيرته العلمية، اذ انه تتلمذ على حشد من الاساتذة والعلماء اظهرهم: مصطفى جواد، ومحمد مهدي النصير، وعلي جواد الطاهر. وقد اعترف بفضل هذه الكوكبة من العلماء، فكان يعدهم "نجوما يقتدى بهداها" ويذكر ان "عنايته الشديدة باللغة العربية واهتمامه بالمخطوطات جاءت بتوجيه الجواد، تعلم المنهج العلمي والاتساع في الثقافة والابتعاد عن التقليد من الطاهر. اما البصير فكان يعده بحراً لا ساحل له في الادب والعلم والاستنباط".

وفي الدار كرس خليل العطية للتوسع بالمعرفة وقتا يزيد على الوقت الذي كرسه للدراسة الرسمية، فكان يشارك في حلقات ادبية واجتماعية، واكن من ابرز اصدقائه في تلك الوقت قاسم احمد السامرائي – وهو شاعر واديب مرموق – وقد شاركا مع اخرين في نشاطات ثقافية ونشرا اشعارهما هنا وهناك.

وبعد تخرجه سار قدما يتلفظ النوادر من المخطوطات التراثية ((فلقد احتضنت الصحافة العراقية والعربية ونتاجات متميزة له، ونالت سلسلة "من ذخائرنا المخطوطة" التي نشرتها مجلة "المكتبة" الصادرة عن مكتبة المثنى ببغداد، اهتمام المعنيين بالتراث الاسلامي ، فلقد نفض فيها الغبار عن طائفة من المخطوطات النادرة، باسلوب مبتكر شائق يناسب حجم المجلة الصغير، فعرف بالقاط الشمول والعموم للمرزوقي، وابن العلاف، ومخطوطة ديوان المزرد والشماخ، ومخطوطات ابن الحجاج البغدادي ومثلثات قطرب وغيرها)).

اما الثقافة العربية فكانت مورده الثاني، وهي العنصر الاساس في ثقافته وعلمه، فلماذا كان لاساتيذه العراقيين فضل في توجيه ملكته وموهبته وصقلها، فان للدراسة الاكاديمية التي قضاها في مصر اثرا كبيرا في سعة اطلاعه وعمق ثقافته خلال تحضيره رسالة الماجستير ثم اطروحة الدكتوراه باشراف العلامة اللغوي "رمضان عبد التواب"، فقد تعلم منه "الدقة والصبر، فضلا عن تنقله بين الكويت، والامارات، ودمشق والجزائر، وغيرها من البلدان العربية مدرسا في جامعاتها، ومشاركا في مؤتمراتها وندواتها اللغوية، وفي خلال وجوده في هذه البلدان، عرف عددا كبيراً من الاساتذة منهم الشيخ حمد الجاسر علامة الجزيرة العربية ومؤرخها الكبير، وشكري فيصل، واحمد راتب النفاخ، واحسان عباس وعزة حسن عضو مجمع اللغة العربية في دمشق، والعلامة المحقق الشيخ محمود محمد شاكر، وحسين نصار صاحب كتاب المعجم العربي ومحمود فمي حجازي، وغيرهم من اساتذة الجامعات والباحثين.

هؤلاء قد اضافوا الى ثقافته الشيء الكثير عن طريق المناقشات العلمية التي تدور بينهم، فاتسع اطلاعه، وتعمقت ثقافته ومعرفته.

يتضح من ذلك ان ثقافة خليل ابراهيم العطية ثنائية التركيب، ثقافة عراقية وعربية قد مكنته هذه الممازجة من التصدي للمشكلات التي عاشتها اللغة العربية.

في ذكرى رحيله..

خليل العطية كما يراه شقيقه

جليل العطية

مع شقيقه جليل العطية

ولد، خليل بن ابراهيم بن عطية بن عليوي بن تامول الزبيدي في مدينة الكوت سنة ١٩٣٦ في اسرة متوسطة الحال، يمتهن ربها تجارة الحبوب، درس في مدارس مسقط رأسه ثم دخل دار المعلمين الابتدائية ببغداد وتخرج فيها سنة ١٩٥٥، فعين معلما ودفعه طموحه الى اكمال دراسته، فقبل في دار المعلمين العالية (كلية التربية) ببغداد فنال (الليسانس) فيها سنة ١٩٦٠، ومارس التدريس في دار المعلمين بالكوت ثم في معهد المعلمين عدة سنوات، توجه بعدها الى القاهرة حيث درس في كلية الاداب بجامعة عين شمس، ونال فيها (الماجستير) عن رسالته (كتاب فعلت وافعلت لأبي حاتم السجستاني). دراسة وتحقيق (١٩٦٩)، وعاد الى العراق ليعين مدرسا لفقه اللغة العربية في جامعة البصرة (١٩٧٠) وابدى نشاطا علميا وفكريا اهلاه لتولي رئاسة قسم اللغة العربية في الجامعة.

ومع مسؤولياته المهنية اشرف على المركز الثقافي التابع لجامعة البصرة فشهد المركز في عهده نشاطا فكريا ملموسا بعد ان استطاع اجتذاب خبرة المثقفين والمبدعين من العراقيين والعرب للمشاركة في نشاطات المركز.

وشارك في تحرير مجلتي البصرة والخليج العربي وغيرهما من المجلات الاكاديمية التي كانت تصدرها الجامعة والمؤسسات التابعة لها.

بعد ذلك شد الرحال ثانية الى القاهرة حيث نال الدرجة العلمية "الدكتوراه" في جامعة عين شمس عن رسالته "كتاب التقفية في اللغة للبندنجي" مع بحث عن الدراسات اللغوية في القرن الثاني الهجري ١٩٧٣.

ثم عاد ايواصل تدريس اللغويات في جامعة البصرة، وظل يعمل فيها بكل همة حتى سنة ١٩٨٤ حيث انتدب للتدريس في معهد باتنه بالجزائر، وهناك تولى الاشراف على عدة رسائل لنيل الدرجة العلمية "الدكتوراه" وفي سنة ١٩٩٣ انتقل الى بغداد للتدريس في كلية التربية في الجامعة المستنصرية وذلك بعد جهد جهيد ومعاناة مؤلمة وعقوبة استغرقت ٢٣ عاما!

وفي العاصمة اشرف على رسائل لنيل الماجستير والدكتوراه لطائفة من العراقيين ومن ابناء الاقطار العربية الاخرى وظل يعمل على الرغم من الامراض الجسدية والنفسية التي داهمته في السنوات الاخيرة، حتى رحيله الى رحمة ربه في بغداد في التاسع من ربيع الثاني ١٤١٩ هـ الموافق للثاني من آب (اغسطس) سنة ١٩٩٨م تاركا تسعة عشر كتابا مطبوعا بين محقق ومؤلف، وثلاثة عشر اثرا مخطوطا.. وعشرات الدراسات والبحوث اللغوية والادبية المنشورة في المجلات المتخصصة والدوريات.

مع مسؤولياته المهنية اشرف على المركز الثقافي التابع لجامعة البصرة فشهد المركز في عهده نشاطا فكريا ملموسا بعد ان استطاع اجتذاب خبرة المثقفين والمبدعين من العراقيين والعرب للمشاركة في نشاطات المركز. وشارك في تحرير مجلتي البصرة والخليج العربي وغيرهما من المجلات الاكاديمية التي كانت تصدرها الجامعة والمؤسسات التابعة لها.

ويقرضون الشعر، لعل ابرزهم كان – السيد راضي بن سعيد الطباطبائي (١٩١٠ – ١٩٧٩ م) والذي اضحى صديقا لنا بعد ان تقدمنا في العمر. كان السيد راضي شاعرا تقليديا، مشاركا في جميع المناسبات الرسمية والدينية، واذكر انه حيانا – خليل وانا- بقصيدة، وكانت المناسبة صور كتابنا المشترك "ديوان ليلى الاخيلية" (بغداد – ١٩٦٧) والقصيدة مثبتة في ديوان الذي حمل اسمه والذي صدر بعد وفاته (١٩٨٠ – بغداد) .

غير ان خفوت الحركة الادبية والعلمية في الكوت لم تستمر طويلا، فلقد عوض ذلك عدد من الموظفين الادباء الذين انتقلوا من المحافظات الاخرى اليها، ومن جانب آخر تولى عدد من رجال الدين والخطباء الذين كانوا يفدون الى المدينة في شهري المحرم ورمضان لتقديم المواعظ والتذكير بمأساة اهل بيت الرسول – صلوات الله عليه – تولى هؤلاء تحريك الجو الادبي والثقافي.

وكان الوالد الذي تتلمذ لعدد من علماء النجف، يعرف الكثيرين من رجال الدين والوعاظ فكان يستضيف طائفة منهم في دارنا طيلة اقامتهم التي تمتد لعدة اسابيع، يتحول بيتنا خلالها الى مجلس يؤمه اهل الادب وحشد من الناس.

كانت الكوت شبه خالية من الفنادق، والخانات القليلة الموجودة فيها لا تليق بالضيوف المهمين فكان وجهاء المدينة يتنافسون في افتناص هؤلاء، الذين كانوا يمتازون – الى جانب معلوماتهم التاريخية والفقهية – بحفظ الاشعار والطرائف مما كان له اكبر الاثر في توجهنا الادبي.

وفي مدرسة الكوت المركزية عني به (السيد هاشم الخطيب) وكان من خيار المربين، فاشتد ساعده، ونمت قابلياته، على ان النقلة النوعية في حياته العلمية كانت انتقاله الى دار المعلمين الابتدائية في الاعظمية ببغداد.

هناك بهره احد مدرسيها الافذاذ (محمد احمد المهنا)، (ت ١٩٦٠).. هنا اترك وصف هذا المدرس لتلميذه الوفي الدكتور علي جواد الطاهر (ت ١٩٩٦) والذي تتلمذ له في سنوات الاربعين فقال:

"ودرسنا اللغة العربية، وهنا لا نطيل فهو ابنها وابوها.. هو نحوي ان اردت النحو، وصرفي ان طلبت الصرف، ومؤرخ للادب ان اردت تاريخ الادب، ولا تسل عما بين ذلك من انشاء واملاء ومحفوظات.. ودرسنا الجغرافية، الجغرافيات كلها .. عجائب الاستاذ محمد احمد المهنا كثيرة.. ولا تجد في هذه الدنيا – رجلا مثله، مجرداً من الطمع، متجردا للخدمة العامة" (اساتذتي ، بغداد – ١٩٨٧، ص ٦٠).

في هذه المرحلة بدأ (خليل) ينظم الشعر العمودي، كانت قصائده رومانسية وكنتاره يكثر مطالعة دواوين السيد محمد سعيد الحبوبي وعلي الشرقي وايليا ابي ماضي، وكانت هذه الدواوين وسواها تحتل زاوية مهمة من مكتبة الاسرة.

دار المعلمين العالية

دار المعلمين العالية التي كانت تقع في حي الوزيرية في رصافة بغداد كانت تضج بالحركة وتمور بالمبدعين ولسد ثغرة منع التنظيم السياسي والثقافي انشا طلبتها الذين قدموا العاصمة من انحاء العراق – حلقات ادبية واجتماعية كان (خليل) من (اهل الادب) وكان من ابرز اصدقائه في هذه الفترة (قاسم احمد السامرائي) الاستاذ في جامعة لايدن بهولندة لاحقا – وهو شاعر واديب مرموق – وقد شاركا مع آخرين في نشاطات ثقافية كثيرة ونشرا اشعارهما هنا وهناك، والغريب ان الاثنين معا – كان خليل يكبرني باربع سنوات.

اقدم صورة احفظها في قلبي له يوم اصيب بالتايفوئيد، وكان هذا المرض قد انتشر في العراق في اعقاب الحرب العالمية الثانية، بسبب انعدام الرعاية الصحية، شحب وجهه كثيراً. وكان يصرخ من الالم، وعندما يكان يزورنا الطبيب كان الوالد يردد على مسامعه ابياتا من الشعر – علمت فيما بعد انها للمتنبي – هكذا كان دأب الوالد: الترنم بالشعر بمناسبة او دونها. فلقد كان يحفظ نصف ديوان المتنبي وثلثي ديوان الشريف الرضي، ونصوصا لا حصر لها من (نهج البلاغة).. وكان خطيبا، جهوري الصوت، مشاركا في المناسبات الدينية التي تقام في مسجد المدينة وسواه من الاماكن العامة.

في هذه البيئة نشأ (خليل) محبا للشعر والادب والنكتة ايضا. ولم تكن الكوت – مسقط رأسينا – من المدن المشهورة بالعلم والادب، فلا اكاد اعرف من بين اهلها الاصليين الا افرادا قلائل يعانون الادب هجرا الشعر – وانصرفا الى العلم وتحقيق المخطوطات!.

وللاسف لا احتفظ في غربتي بنماذج من شعر خليل كانت سنوات الستين حافلة بنشاطه العلمي والادبي فلقد احتضنت الصحافة العراقية والعربية نتاجات متميزة له، ونالت سلسلة (من ذخائرها المخطوطة) التي نشرتها مجلة (المكتبة) الصادرة عن مكتبة المثنى ببغداد، اهتمام المعنيين بالتراث الاسلامي، فلقد نفض فيها الغبار عن طائفة من المخطوطات النادرة، باسلوب مبتكر، شائق يناسب حجم المجلة الصغير، فعرف بالفاظ الشمول والعموم للمرزوقي وابن العلاف ومخطوطة ديوان المزرد والشماخ ومخطوطات ابن الحجاج البغدادي ومثلثات قطرب وغيرها.

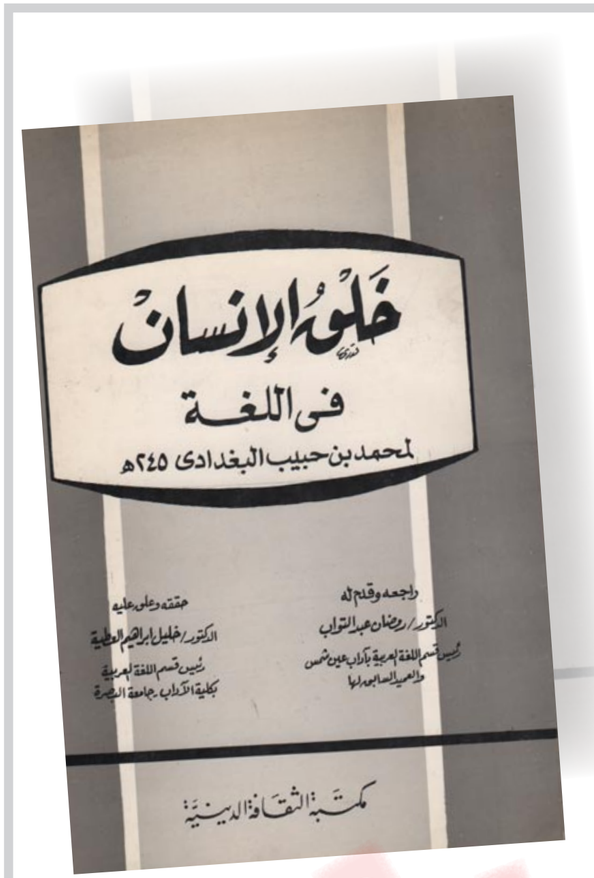

تعلم اللغة السريانية

كانت افضل اوقات الخليل تلك التي يقضيها في القراءة والكتابة والتنقيب في معجمات اللغة، وكان اكبرهم بروقه تعلم اللغة السريانية لايمانه باهميتها في علم اللغة وقد قطع شوطا في ذلك بعد ان يسر له "كوركيس عواد" سبل ذلك.

كانت عنايته شديدة باللهجات العربية ، ونشر دراسات مهمة عن لهجات هديل وطي وزبيد وغيرها من القبائل العربية. واثناء اقامت بالبصرة وضع دراسة متميزة عن لهجة اهل الزبير باعتبارهم البصريين الاوائل وكانت ميدانية، علمية، وعندما زار صنعاء بدعوة من جامعتها وضع ملاحظات عن لهجة ابنائها وكذلك فعل بالجزائر.

صلته بالعلماء

وكان يعتز بصلاته الطيبة بعلماء عصره، ويحرص على حضور مجالسهم، واذا كان من الطبيعي ان يعرف معظم علماء وباحثي بلده العراق، فانه كان يقيم امتن الروابط مع العلماء العرب من مختلف الاقطار العربية اذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر.

الشيخ حمد الجاسر – علامة الجزيرة العربية (ت ٢٠٠٠م) والدكتور شكري فيصل (ت ١٩٨٥) والاستاذ احمد راتب النفاخ (ت ١٩٩٣) والدكتور احساب عباس والدكتور عزة حسن والشيخ محمود محمد شاكر (ت ١٩٩٧)، على ان لاستاذه الدكتور رمضان عبد التواب (عميد كلية اداب عين شمس في القاهرة – سابقا – مكانة متميزة في قلبه ووجدانه. كان يلهج بالثناء عليه، وقد اهداه كتاب (خلق الانسان لمحمد بن حبيب البغدادي (القاهرة – ١٩٩٤).

كان نص الاهداء.. بسيطا، عميقا، موجزا هو:

الى استاذي الدكتور رمضان عبد التواب كفاء فضله يد سبقت ودين مستحق، واذاك ان هذا رأي التلميذ البار في استاذه، فما هو رأي الاستاذ في تلميذه؟

تقرأ الجواب في المقدمة الرصينة التي كتبها الدكتور عبد التواب لكتاب (الفرق) لقطرب (القاهرة – ١٩٨٧) والتي جاء فيها:

"الدكتور خليل العطية اقدم تلامذتي على الاطلاق، وقد جاءني الى كلية الاداب بجامعة عين شمس واسمه يسبق شخصه، وتمرسه بفن التحقيق تشهد عليه الدواوين القديمة، التي اخرجها لقراء العربية انذاك محققة، فكانت رسالة الماجستير تشتمل على تحقيق فعلت وافعلت لابي حاتم السجستاني تتضمن تحقيق التقطية للبندنيجي، فكان في اشرافي عليه في الرسالتين مثة النقاء الاخر الكبير باخيه الصغير، والرغبة في ارساء قواعد مدرسة جديدة في التحقيق، تقوم على التأني في معالجة النص، والاستقصاء في التخريج، والتيسير في صنع الهوامش وعمل الفهارس، والاقتصاد في النقول والشروح، التي لا تسمن ولا تغني من جوع!؟

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2218)
السنة الثامنة
الخميس (11)
اب 2011

لغوي من الجيل النادر

عشق خليل العطية للغة دفعه الى دراسة علم الصوتيات وتحقيق عشرات الدواوين والقصائد

د. زهير غازي زاهد

ان رحيل اللغوي الدكتور خليل ابراهيم العطية صرخة في الوجدان العربي تنبه الى خسارة واحدة اخر من ذلك الجيل اللغوي النادر.

لقد كان خليل العطية شغوفا بالمعرفة محبا اشد الحب لتراثه العربي وخصوصا الشعر منه وان بدء حياته العلمية بتحقيق ديوان المزرد ونشره في وقت مبكر دليل لهذا الحب وكان رحمه الله يحمل روح الشاعر ، وقد حاول نظم الشعر في بدايات حياته حين كان طالب علم في الثانوية ودار المعلمين العالية التي تخرج فيها سنة ١٩٦٠، وعين في دار المعلمين الابتدائية في الكوت ثم معهد المعلمين بعد حصوله على "الماجستير" وبعد ذلك تم نقله الى جامعة البصرة كما ذكرت كان يزاول نظم الشعر هواية فهو لم يكن مستعدا لاحترافه فللشعر طقوسه ولمحترفه خصائص واولى هذه الخصائص التمرد وعدم الخضوع للقيود مهما كانت براقة وحريرية، والمرحوم خليل كان مثقلا بعائلة منذ بداية شبابه فكان ابا يشغله اولاده، والشعر يحتاج الى تفرغ فلا يكون الانشغال الا به دون الانشغال بما يأخذ بل يزهق وقت الشاعر واحلامه، فالعائلة وخصوصا اذاتسعت والاب الرقيق العطوف مثل خليل العطية تشغله عن الشعر كل الانشغال فيقصر عنه، ولما رأى طريق العلم اقرب الى نفسه واحب سلكه، وكان اندفاعه للتراث الشعري قد املته عليه اجواء تربيته ودراسته.

فالعمل الذي حصل به على شهادة الماجستير كان لغويا وقد سبقته وتلته اعمال في تحقيق دواوين منها: ديوان لقيط بن يعمر الايادي وديوان ليلى الاخيلية وديوان مسكين الدارمي وديوان عمرو بن قيمئة وشعر نهار بن توسعة وغيرها. كل تلك الاعمال لا صلة لها بنيل الشهادة او مصلحة غيرها انما هو حب العمل في هذا المجال العلمي، مجال التحقيق ثم العمل لوجه العلم وخدمة الحقيقة، وكان يقول اعجب لمثقف يضيع ساعة من وقته دون قراءة فكان دؤوبا منقارا باحثا امتلك مكتبة ضخمة من جهده وبجهده. والطابع الذي ميز جهوده وانتاجه هو اللغة والتحقيق اللغوي امام الدكتوراه التي حصل عليها ١٩٧٣ من الجامعة نفسها فموضوعها معجم "التقفيه في اللغة" للبندنيجي ابي بشر اليمان بن اليمان المتوفي ٢٨٤ هـ وقد اثار نشر هذا المعجم حفيظة الاستاذ احمد عبد الغفور عطار محقق معجم الصحاح للجوهري المتوفي سنة ٤٠٠ هـ الذي ذهب الى ان الجوهري مبتكر المنهج الذي اتبعه في ترتيب مواد معجمه على طريق الباب لآخر الكلمة والفصل لاولها ثم يكون ترتيب المداخل داخل الباب الواحد ترتيبا هجائيا وعند نشر الدكتور خليل معجم "التقفية في اللغة" الذي سبق الجوهري باكثر من قرن من الزمان اعلن ان هذا المنهج الذي اصر العطار على انه ابتكار الجوهري قد سبقه النبدنيجي اليه، والفضل للمتقدم قلت ان الطابع الذي اتصف به المرحوم العطية هو الاتجاه للغة والغوص في قضاياها وكان ذا احساس لغوي مرهف وحافظة تختزن ما يصل اليها ولسان لهج بالعربية يكاد يستعملها لسانا فصيحا في كل مجالات الحياة فلا يخطئه السمع من اول نبرة ينطقها، لذلك كان منسجما مع نفسه في انشغاله بتحقيق الدواوين التي ذكرتها فكلها لشعراء يستشهد بهم اهل اللغة وكلها من الشعر الفصيح حاتم السجستاني، دراسة وتحقيق، وبدأت رحلتنا العلمية وجهادنا في مجال التعليم الجامعي.

العمل الذي حصل به على شهادة الماجستير كان لغويا وقد سبقته وتلته اعمال في تحقيق دواوين لقيط بن يعمر الايادي وديوان ليلى الاخيلية وديوان مسكين الدارمي وديوان عمرو بن قيمئة وشعر نهار بن توسعة وغيرها. كل تلك الاعمال لا صلة لها بنيل الشهادة او مصلحة غيرها انما هو حب العمل لوجه العلم وخدمة الحقيقة،

يكن في جامعة بغداد من يقتحمه لانه يحتاج الى سعة معرفة وتتبع لمباحث علم اللغة الحديث وتطوره السريع كما يحتاج الى وعي واطلاع عميقين في مجال الدرس اللغوي التراثي. فكان المرحوم خليل يتصف بهاتين الصفتين، فاطلاعه ومعرفته التراثية تتضح في بحوثه واعماله في التحقيق كما كان شديد الدأب في الاطلاع على الجديد من مباحث علم اللغة وما وصلت اليه نظرياته الحديثة.

كان يحفظ اهم مصطلحات علم اللغة ثم كان كثير الحوار لمتخصصين في قسم اللغة الانجليزية في كلية الاداب ممن كانوا معنيين بالبحث اللغوي وتتبع الجديد فيه مثل الدكتور مرتضى جواد باقر مترجم بعض اعمال تشومسكي والاستاذ مجيد الماشطة مترجم بعض اعمال (بالمر) في علم الدلالة وغيرهما، ثم صلته الوثيقة بالدكتور رمضان عبد التواب استاذه وزميله الذي كان شديد الاعتزاز به اذ كان يفتخر بتلامذته الاساتذة والدكتور خليل على رأس قائمتهم ان لم يكن الوحيد فيهم.

كان الدكتور خليل يميل في بحوثه الى الجديد الطريف كما قلت، من ذلك خوضه في الدرس الصوتي عند الكوفيين اذ ظل ينقر في الكتب ويجمع المعلومات في هذ الموضوع حتى استوى عنده كتاب في ذلك جعل عنوانه "الدرس الصوتي عند اهل الكوفة وهو موضوع بديع لم يتطرق اليه باحث الا لماما لندرة ما لدى الكوفيين في هذا المجال من البحوث او المباحث بين ايدينا. فقد كان شديد الاعجاب بمنهج الكوفيين اللغوي ولكن ليس بين ايدينا كتاب لهم يتضمن اراءهم واقوالهم في هذا المجال كالكتاب المعزو الى سيبوية للبصريين . ونحن لا نفترض الخلاف في كل شيء مع مباحث الصوت الخليلية ثم البصرية انما كانت لهم مواقف ونظرات في مجال الظواهر الصوتية ثم في مجال المصطلح الى جانب ارائهم في الدرس النحوي مبثوثة في "معاني القرآن للقراء ثم في المصادر والمظان استطاع الدكتور خليل ان يجمعها بدأب وصبر فيؤلف منها كتابا يلقي الضوء على هذا المجال من البحث اللغوي لدى الكوفيين.

وكان ذا شخصية علمية مؤثرة فيمن يتصل بهم من اصدقائه وزملائه وطلبته، ومن اثار شخصيته العلمية في اكبر ظني دفعه طلبته للاهتمام بالبحوث اللغوية ثم تأثيره في اخيه الدكتور جليل العطية ودفعه للاهتمام بالتراث ومشاركته في تحقيق ونشر جملة اعمال مهمة، وقد تشاركا في تحقيق عدد من دواوين الشعر ونشرها وزاد اهتمامه التراثي الى ان ضمت مكتبته العامرة اهم مصادر التراث، وقد حقق عدة كتب نادرة ونشرها مع انشغاله بتخصصه في مجال الصحافة وتاريخها اضافة الى قضايا التاريخ الحديث والكتابة عن شخصيات العراق العلمية والادبية والاجتماعية، فكما لمع المرحوم الدكتور خليل في البحث اللغوي وتحقيق النصوص لمع الدكتور جليل في الادب الصحافي مع تحقيق النصوص ايضا فهما يلتقيان في تحقيق التراث ويفترقان بالبحث في مجال تخصصهما الدقيق.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2218)
السنة الثامنة
الخميس (11)
اب 2011

من كتابات الراحل
من مقالاته ابن العلاف ودواليته

خليل ابراهيم العطية

الرجل:

هو ابو بكر الحسن بن علي بن احمد بن بشار المعروف بأ بن العلاف الشاعر النهرواني الضرير المشهور.. حدث وحكى عن نهسه قال: (بث ليلة في دار المعتضد مع جماعة من ندمائه فاتانا خادم ليلا فقال: امير المؤمنين يقول: ارقت الليلة بعد انصرافكم فقلت: (من الطويل).

وملأ انتبهنا للخيال الذي سرى
اذ الدا قفز والمزاد بعيد

وقد ارتج علي تمامه فمن اجازه بما يوافق غرضي امرت له بجائزة. قال فارتج على الجماعة وكلهم شاعر فاضل بابتدرت وقلت:

فقلت لعيني عاودي النوم واهجمي
لعل خيالا طارقا سيعود

فرجع الخادم ثم عاد فقال: امير المؤمنين يقول:

احسنت وقد أمر لك بجائزة

ولعل في طبيعة مركزه كنديم كونه سريع البديهة حاضر النكتة راوية للشعر فلا غرو ان عده ابن المعتز في طبقاته من الرواة المجيدين للشعر قديمه وحديثه.

ويمكن استقراء ما نظم في اعيان عصره – رغم انه لم يصلنا منه غير اليسير – يطلعنا على طرف بارز في حياته وطبيعة علائقه معهم ثم هي – الى جانب كل هذا – ترسم لنا صورة تكاد تكون واضحة عن شمائله وعفة نفسه، فقصيدته القافية على ما يذكرها لنا الخطيب في تاريخه والتي مطلعها:

أبا حسن لما سبقت الى العلى
تغردت فيها بالفضيلة في السبق

وفيها يقول:

ملكت قيادي يا ابن يحيى بنعمة
فان زدتني اخرى ملكت بها رقي
فمن اين لي في الخلق مثلك سيد
اذا كان لم تسمع بمثلك في الخلق
وقد سار شعري فيك غربا ومشرقا
كجودك لما سار في الغرب والشرق
يشير بوضوح الى انفته من ابن يحير – المذكور – الذي اعطاه دنانير ثم احتسب بها عليه غرو ان رأيناه يخاطبه:

فصيرت لي حقا بفضلك واجبا
واعطيتني شيئا سوى ذلك الحق
فقدت بها قلبي اليك وان تسل
خبيرا به يخبرك صدقك عن صدقي

ولعل في وقائه – اعني ابن العلاف – لعلماء عصره جانب بارز في شخصيته الادبية هاكه يصور مكانة ابي العباس المبرد (المتوفى سنة ٢٨٥ هـ) ويبايع ثعلبا بعده...!

قال:

(من الكامل)

ذهب المبرد وانقضت ايامه
وليذهبن اثر المبرد ثعلب
بيت من الآداب اصبح نصفه
خربا وباقي بيتها فسيخرب

××

وتزودوا من ثعلب فبكاس ما
شرب المبرد عن قريب يشرب
وارى لكم ان تكتبوا انفاسه
ان كانت الانفاس مما يكتب

وفاته:

وكانت وفاة ابن العلاف صاحب ثماني عشرة او تسع عشرة وثلثمائة بعد ان عاش مائة سنة.

شعره:

لم يصلنا من شعره غير اليسير الذي لا يغني ولا يقنع غلة الباحث ولولا داليته التي وصلنا اكثرها لما استطعنا استكناه جوانب شاعريته ونفسه الشعري.. وعدا ما انتخبه ابن المعتز في طبقاته له – وهو بذاته لايرقى من حيث الجودة الى داليته – فاننا لا نجد له غير ما قدمنا من قافيته وبائيته وابيات اخرى متفرقة هنا وهناك

ولا ندري اجميع القدامى شعره في ديوان ام لم يفعلوا؟ فلم يذكر ذلك ابن النديم من القدامى ولا الحاج خليفة من المتأخرين ولعله كان نديما قبل ان يكون شاعرا فضاع شعره فيما ضاع... او لان القدماء لم يروا في شعره ما يوجب الجمع فاهملوه.

داليته:

ولعل سلوتنا عن فقد شعره – في داليته النفسية التي وصلنا منها (٤٥) بيتا من اصل خمسة وستين فاننا نلمس فيها عمق التجربة وصدق العاطفة . واقدم من اشار اليها – فيما اعلم ابن خلكان (المتوفى سنة ٦٨١ هـ) وعنه نقل الآخرون الذين هم في اسباب نظمها مختلفون: وها نحن اولاء نستقرئ اختلافهم في ذلك ثم نخلص الى رأي نبنيه على ضوء المنحى العام للقصيدة ولكننا لا نقطع به فقد اختلف القدماء ولم يرجحوا رأيا على رأي وتلك طبيعة الغالب منهم عبر (الصفدي) في النكت قطع برأي نراه الصواب – كما سيأتي.

واول هذه الاسباب: انه كان (لابي بكر هربانس به وكان يدخل ابراه الحمام التي لجيرانه ويأكل فراخها وكثر ذلك منه فامسكه اربابها فذبحوه فرثاه بهذه القصيدة...).

والثاني: انه كنى بالهر عن ابن الفرات يوم قتله نازوك صاحب الشرطة في عهد المقتدر سنة اثنتي عشرة وثلثمائة..

والثالث: انها – اي القصيدة – مرثاة في ان المعتز فقد كانت بينه وبين ابر بكر صحة اكيدة، وخشي من المقتدر ان يتظاهر بها لأنه هو الذي قتله فسبها الى الهر.

والرابع: ما نقله ابن خلكان عن صاعد اللغوي صاحب الفصوص (والمتوفى سنة ٤١٧ هـ) نقلا عن ابي الحسن المرزباني قال: "هويت جارية لعلي بن عيسى غلاما لابي بكر بن العلاف الضرير فقطن بهما فقتلا جميعا، وسلخا وحشي جلودهما تبنا فقال مولاه ابو بكر هذه القصيدة به وكنى عنه بالهر...".

وانت ترى اختلافهم في سبب نظمها وسردهم لمختلف الروايات بسند او بدونه ولم تجد بينهم من يقطع برأي فيها – رغم ان ابياتها واضحة جلية المرمى – غير الصلاح الصفدي – كما اشرنا اليه – قال بعد ان نقل سيرته وقصيدته الدالية ما نصه:

(وانا شديد التعجب ممن يزعم ان هذه القصيدة رثي بها غير هر...). اما جرجي زيدان فانه يقطع بانها في رثاء غلامه الذي قتله علي بن عيسى المذكور.

وها نحن اولاء ندرس القصيدة وننقد عليها لنخلص بعد ذلك الى رأي يحل هذ المشكل رغم ان القدماء – عفى الله عنهم – لم يوردوها كامل قبحجة ان (طولها يمنع من الاتيان بجميعها)!! ولو وصلتنا كاملة لكان الرأي فيها اكثر دقة وصوابا...

لنقرأ معا:

(من المنسرح)

ياهر فارقتنا ولم نعد
وكنت عندي بمنزل الولد
فكيف ننفك عن هواك وقد
كنت لنا عدة من العدد
نطرد عنا الاذى وتحرسنا
بالغيب من حية ومن جرد
ونخرج الفار من مكانها
ما بين مفتوحها الى السدد
ونظرة فاحصة للابيات تخرج (ابن المعتز) من القائمة ... ولو انه اكتفى بالمطلع والذي يليه لكنا نصدق القاتلين بكونها قيلت فيه وليس في سيرة ابن المعتز (المقتول سنة ٢٩٦ هـ) ما يشير ولو من طرف خفي الى مثل هذه الخلائق فنظنه رمز اليها...

ولنزيد:

يلقاك في البيت منهم مدد
وانت تلقاهم بلا مدد
لا ترهب الصيف عند هاجرة
ولا تهاب الشتاء في الجمد
وكان يجري ولا سداد لهم
امرك في بيتنا على سدد

ويظل ابن العلاف ياسى بحرقة ويخاطب "الهر" بلوعة وحفيل وحزن قائلاً:

تدخل برج الحمام متئداً
وتبلع الفرخ غير متئد...!
وتطرح الريش في الطريق لهم
وتبلع اللحم بلع مزدود
ولايمكن ان تصدق انها قيلت في رثاء غلام.. وهبك صدقتهم فماذا تقول في :

لم يرحموا صوتك الضعيف كما
لم ترث منها لصوتها الغرد
واذا كنت تعتبره رمزا – لشيء – فانه يمكننك – على هذا ان تدخل في هذا الباب كثيرا من القصائد.. ولكن للامر حدوداً..

ولا ينسى ابو بكر وهو في ذروة العاطفة ان (يعظ) ويدعو الى (القناعة)

فكم من (لقمة دخلت حشاشره
اخرجت روحه من الجسد)

و...

يامن لذيذ الفرخ اوقعه
ويحك هلا قنعت بالفرد
الى تخف وثبة الزمان كما
وثبت في البرج وثبة الاسد...
عاقبة الظلم لا تنام وان
تأخرت مدة من المدد

وبعد:

فانه لما لا شك فيه ان هذه القصيدة انما هي في رثاء "هر" حقيقي ولم يرمز ابن العلاف كما رأينا الى اي شيء مما تقدم ثم انك واحد في هذه القصيدة من صدق التجربة وعمقها ما يدلل على ان ابن العلاف ممن نظموا الشعر كما هم بلا تعمل ولا زم.

الى روح استاذي وأخي وصديقي

الكلمات الثكلى

شعر: د. احمد جواد العتابي

اغمض جفونك ثكلى هذه الكلم
وارقد كما انت مازوحمت يا علم
هي المنايا حبيبات لذي ألم
أنى اتتنا فلا خوف ولا سأم
نفر منها اليها كلما عصفت
بنا الحوادث واشتدت بنا الظلم
تستوطن القلب تسري بين اضلعنا
فتارة هي سلوى تارة حلم
تجثو على الجسد الملقى تهدهده
وتستبيح زواياه وتعتصم
حتى اذا ما رأت في العين بارقة
وكانت الأه بعد الأه تزدحم
صاحت بارجاء ذاك القلب
فانفرطت حياته لاتبالي اين ترتطم
مجنونة خطوات الموت ما برحت
تقفو خطانا وتلهو حين نحتكم
موتان ذا موته مجدٌ به شممُ
وذا يموتُ فلا مجدٌ ولا شممُ

××××

أبكيت صمتاً بلا دمع أكفكفه
لكن في القلب جُرحا ليس يلتئمُ
زرعت في الصدر آهاتٍ اخبئها
وفي الجوانح ينمو الصبرُ والندمُ
حاصرت قلبكَ بالأوجاع تسحقها
ولم تُبال أبرءٌ ذاك أم سقمُ
افنيت عمرك في كدٍّ وفي طلب
للعلم تبني اذا ما الصرحُ ينهدمُ
يتون مرّت غريبات فما عرفت
للصبح طعماً ولا طافت بها النجمُ
تون مرت كأن الدهر حملها
ما لاتُطيقُ فما زلت لها قدمُ
نفسٌ تروضُ العُلا ما ضَرها شطفٌ
للعيش فيها تلاقى العلمُ والكرمُ
إذا دعاها الندى اهتزت له فرحا
وإن دعاها نداءُ العلم فهي فمُ
يامن رحلت وفي عينيك بعض أسى
مما احتملت وما جرت القيم
قد كنت خير ملاذٍ يستجار به
يا مهلا صافيا ما شابه وَصَمُ

×××

اعر لي صوتك مات الحرفُ في شفتي
إلا أنيناً أجاريه فينكمُ
يمسني مثل حد السيف في حذرٍ
ويرتديني جراحا ما لها ألمُ
يشيع في النفس دفئا لست اعرفه
كانه الوجد اخفيه ويحتدم
شيءٌ له مثل لون الخوف يغمرني
فأرتضيه وانسى انه الوهم
مازال صوتك في سمعي يؤرقني
ويحتويني أسى في النفس يضطرم
ها قد رحلت وكل ناظر غده
ان سوف ترفع اجال وتنصرم
قاعات درسك ضجت اذ نعيت لها
تلك المنصات والاوراق والقلم
في كل ركن بقايا منك شاخصة
تكاد تنطق في زهو وتبتسم
هنا وقفت هنا سلمت في عجل
هنا حديث لنا أثامه لمُ
طوبى لذكراك حلت في ضمائرنا
لم تمحها غائلات الدهر والعدم
هذي الجموع تكبتك اليوم في جزع
وشيعت علما ما بعده عَلَمُ

القصيدة التي القيت في الحفل التأبيني الذي اقامته كلية التربية الجامعة المستنصرية تخليدا لروح الاستاذ الدكتور خليل ابراهيم العطية في ١٩٩٨/٩/١٩.

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
مدير التحرير: علي حسين
التصميم: نصير سليم
التصحيح اللغوي: نوري صباح
طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

خليل العطية

محقق من طراز خاص

حميد المطبعي

خليل العطية

1936 – 1998

باحث في اللغويات، هو الدكتور خليل ابراهيم العطية، ولد في مدينة الكوت بمحافظة واسط، ونشأ في اسرة يحفظ ربها نصف ديوان المتنبي ويعرض الشعر، وقرأ صاحب الترجمة على والده شرح الالفية وغيرها، فكان بحق استاذه الاول، حاز شهادة الدكتوراه في النحو واللغة ١٩٧٣ من جامعة عين شمس بالقاهرة ومرتبة الاستاذية ١٩٨٩، عمل استاذا في كلية التربية بالجامعة المستنصرية قسم العربية، نشر نحوا من خمسة وعشرين كتابا فضلا عن عدد مماثل من البحوث المتخصصة في النحو واللغة وعلم الصوت وعلم الدلالة منها، في البحث الصوتي عند العرب ١٩٨٣ والتركيب اللغوي لشعر السياب ١٩٨٦ والفرق لقطرب – القاهرة ١٩٨٧ ونشرت اثاره في بغداد والقاهرة وبيروت، اسهم في عدد من المؤتمرات والندوات داخل القطر وخارجه واختير استاذا زائراً في عدد من الجامعات العربية، كما اختير استاذا زائرا في جامعة صنعاء وجامعتي الموصل والكوفة، انتخب غير مرة عضوا في الهيئة الادارية لنقابة المعلمين في الكوت والبصرة، ذكرته كثير من المصادر والمراجع منها، موسوعة سزكين بالالمانية والاعلام للزركلي في طبعته الثانية ١٩٧٦ وترجم له صاحب (الموسوعة الموجزة) الصادرة في دمشق ١٩٧٤ المجلد الثالث (خ)، واشار الى كثير من اثاره عبد السلام هارون في كتبه التي حققها ورمضان عبد التواب، ويعد المترجم له اول من دعا الى ادخال علم الصوت في اقسام العربية، ومن اوائل من درس علم الدلالة في الدراسات العليا واشرف على جملة من رسائل الدكتوراه، يدين لثلاثة من الاساتذة رسموا له الدرب وهم الدكتور مصطفى جواد وعلي جواد الطاهر ورمضان عبد التواب، في الاول تجلى الانسان الموسوعة وفي الثاني العلم والذوق وفي الثالث الدقة والصبر.